الفصل الأول

البنية الاجتماعية في شطري اليمن

-البنية الاجتماعية.

-القبيلة..

- النظام الداخلي للقبيلة.

- المسألة التعليمية.

- البنية الاقتصادية.

- المذاهب الدينية.

- الطائفة الزيدية..

- الطائف الشافعية.

- الطائفة الإسماعيلية.

obeikandl.com

البنية الاجتماعية والاقتصادية في شطري اليمن:

أجبرت اليمن على العزلة منذ عهد الفتح العثماني الأول لليمن، وحتى أواخر الخمسينيات من القرن العشرين، وعم الجهل والفقر.وبعد الحرب العالمية الأولى طرأت متغيرات دولية، وبقيت اليمن ترزح خلف قضبان الخوف من الجديد الوافد.ولم يكن جدل المعارضة، حول الإمامة وشروطها ،بعد فشل حركة١٩٤٨م،بقدر ما كانت المعارضة تبحث عن صيغة جديدة لكيفية الخروج من العزلة، ولو اقتضى الأمر تبديل إمام بإمام آخر. لأن التغيير أصبح ضرورة، المهم أن يكون الجديد ، على قدر من الاهتمام لفك حصار العزلة والخروج إلى العالم المتغير المتجدد. يقول"سيرل بلاك"إن تحديث المجتمع يحتاج إلى مواجهة بين الحاكمين وخيارات ثلاثة هي:-

أولاً :- مقاومة الأفكار الجديدة، واضطهاد مبتدعيها.

ثانياً :- قبول بعض الأفكار الجديدة، ورفض البعض الآخر.

ثالثاً :- قد يجد القادة التقليديون أن الأفكار الجديدة، مفيدة فيعملون على إعادة تنظيم للمؤسسات القومية بما يتناسب والأفكار الجديدة. "[١]

وقد اختار الإمام أحمد الخيار الأول، فنجده بعد حركة١٩٤٨م، شن حملة إعلامية على المؤيدين للدستور الذي حمل مشعله الانقلابيون وكان يسمى، الدستور المقدس، واعتبر الإمام الدستوريين خارجين عن الملة، وانتصر العامة من الشعب لفكرة الإعلام الإمامي، فأوجس انقلابيو ١٩٥٥م خيفة، فلم يعلنوا بأن لهم دستوراً، وإنما أعلنوا الإصلاح، وبالفعل لم يكن لهم دستور ينتصرون له.

---

١) محمد إبراهيم الحلوة: مرجع سابق، ص١٤٨، نقلاً عن:-

C.E.Black .the Dynamics of Modernization study in Comparative History; 'New York; Harper& Row; publisher; 1966" p.69.

- البناء الاجتماعي:-يكاد البناء الاجتماعي لشطري اليمن أن يكون متقارباً رغم المؤثرات الاجتماعية التي افرزها الاستعمار البريطاني في اليمن الجنوبي، فقد بقيت التقسيمات الاجتماعية متقاربة ومتماثلة مع اليمن الشمالي، إلا أن اليمن الشمالي فرضت عليه تكويناً طبقية بحكم النظام الحاكم فيه، ويبدو أن الموقع الجغرافي لشطري اليمن عكس تأثيراته أيضاً على البناء الاجتماعي في كل شطر على حدة، ففي الجنوب انحسرت الهياكل القبلية وظهرت طبقات وفئات اجتماعية هي:-

- الطبقة العليا :- وتشمل السلاطين والأمراء، وكبار التجار والمقيمين من الأجانب، الذين ارتبطت مصالحهم مع الإنجليز، ويكونون فئة رأسمالية، منحوا كل التسهيلات اللازمة من الإنجليز وحصلوا على الجنسية أيضاً.

- الطبقة الوسطى:- وتتكون من المهنيين، وصغار التجار، والموظفين.

- الطبقة الدنيا :- وتتكون من الفلاحين، وهم غالبية الشعب في الجنوب، والعمال، الذين برزوا كفئة مؤثرة، اجتماعياً، واقتصادياً، خاصة بعد الاستقلال."[1]

وفي الشطر الشمالي من اليمن التكوين الطبقي يقوم على ثلاث طبقات اجتماعية هي:-

- الطبقة العليا :- وتتمثل بالهاشميين"السادة"، وشيوخ القبائل، والعائلات التي ارتبطت عن طريق النسب والمصاهرة بالإمام،ثم كبار وأصحاب المراكز الوظيفية العليا.

- الطبقة الوسطى: وتشمل التجار والمهنيين، من المعلمين والأطباء والمهندسين والحرفيين والفلاحين.

- الطبقة الدنيا : وتشمل كل من يمتهن الحلاقة والجزارة، وغيرهم، ويشكلون طبقة مغلقة على نفسها."[1]

---

١) حسن أبو طالب: الصراع بين شطري اليمن، القاهرة، مركز الدراسات السياسية، والاستراتيجية بالأهرام، (٤٣)، ديسمبر١٩٧٩م، ص٢٥-٢٦

- أما عن "الأخدام" ومعظمهم من حجور الشام، والمناطق التهامية، فتوكل إليهم في الغالب أعمال النظافة في المدن، وينحدرون من أصل حبشي وهم بحق ما يجب أن يطلق عليهم الطبقة المسحوقة."[٢]

وهذا التقسيم الطبقي قديم التصور، ولم يتناول تطور المرحلة الراهنة، فالتحول الاجتماعي لمرحلة ما بعد الثورة غير أنماطاً طبقية كثيرة. ففي الشطر الجنوبي أطيح بالسلاطين ومشائخ القبائل والتجار، وحل مكان هؤلاء قياديو الحزب، وأصبح الحزب هو الطبقة الجديدة، المستأثرة بكل الأمتيازات.

وفي الشطر الشمالي تم الإطاحة بالطبقة العليا" الهاشميون" وبقي الجناح القبلي الممثل بالمشائخ. وعلى اعتبار أن قادة الانقلابات عسكريون ينحدرون من شريحة قبلية، تصبح هذه الشريحة والقبيلة المنحدرة منها، هي الطبقة الجديدة المستأثرة بالحكم.

ونلاحظ هنا أن الريف القبلي هو المسيطر على مقاليد السلطة، وتنعكس عليه التنمية سلباً وإيجاباً.

القبيلة:- تتمتع القبيلة في اليمن بالاستقرار المكاني، ونظامها ذو طبيعة تقليدية، وكل قبيلة تتمتع بكيان ذاتي مستقل بمساحة جغرافية محددة، دون السماح بمشاركتها من قبيلة أخرى، "[٣] فالقبيلة في تعريفها، هي مجموعة من الناس، يتكلمون لهجة واحدة، ويسكنون إقليماً واحداً مشتركاً يعتبرونه ملكاً خاصاً بهم.

وتؤلف القبيلة وحدة شكلية متمايزة وكثيراً ما تكون أكبر وحدة سياسية في المجتمع فلا تخضع لسلطة أعلى منها، وتتحالف بعضها ببعض بهدف تحقيق أغراض محددة.

---

١) محمد مصطفى الشعبيني: مرجع سابق، ص١٤٨.

٢) فضل أبوغانم: البنية القبلية في اليمن، دمشق، مطبعة الكاتب العربي، ١٩٨٥م، ص٣٤٠.

٣) الموسوعة العربية الميسرة: القاهرة، دار القلم، ١٩٦٥م، إشراف، محمد شفيق غربال، ص١٣٧٠.

ويرى حمزة لقمان، "[1] أن المجتمع القبلي يتكون من مجتمعات صغيرة تربط بينها علاقات القرابة والمصاهرة، والعواطف هي التي تحكم أفراد القبيلة، ويرتبط الأمن داخل المجموعة بقدر الارتباط بالولاء نحو القبيلة، واستقلال الأفراد المحدود، يبني الإحساس بأن لهذه القبيلة وحدة اقتصادية قائمة بذاتها تحتاج إلى الحماية باستمرار... ومسألة الخروج عن القبيلة تشبه الخيانة العظمى عند الدولة ألحديثه، حيث يترتب عليه الموت، أو الطرد في الغالب. لهذا ليس من السهل القضاء على هذا النزوع القبلي بطريقة التشريعات، والقوانين، ويمكن التخفيف من حدته عن طريق التعليم والتربية الوطنية."[2] وكان صراع القبائل مع الإمامة ناتجاً عن عدم استسلامهم للسلطة المركزية، واستطاع الإمام أن يعالج التمرد القبلي عن طريق فرض الرهائن، وهم أبناء رؤساء(مشائخ) القبائل، بوضعهم في السجن حتى يضمن ولاء القبيلة له، وعلى الرغم أنها طريقة بدائية غير مقبولة، لكن في غياب البدائل كانت مسألة مسلماً بها.

النظام الداخلي للقبيلة:-

يقوم نظام القبيلة على المشيخة، والشيخ هو أعلى رأس القبيلة، والسياسة التشريعية للقبيلة قائمة على أعراف، تم الاتفاق على وضعها من قبل القبيلة وهي قوانين تمثل المحور الرئيسي للحياة القبلية."[3] وهذه الأعراف لا يعني أنها واحدة كدستور شامل بين جميع القبائل، وتختلف من الاتحاد القبلي ألحاشدي، إلى الاتحاد القبلي البكيلي.

وتمثل القبائل في الشطر الشمالي من اليمن مايقارب٨٥٪ من جملة عدد السكان."[4] وتنقسم القبائل اليمنية إلى ثلاث قبائل كبيرة، هي: قبائل حمير،

---

١) حمزة لقمان: تاريخ القبائل اليمنية، صنعاء، دار الكلمة،ط١٩٨٥،١م،ص٩.

٢) المرجع نفسه،ص١٣.

٣) فضل أبوغانم،مرجع سابق،ص٦٠.

٤) عبد المجيد عبده سيف الخلاقي:التكامل القومي في اليمن،رسالة ماجستير،غير منشوره،١٩٨٦م،القاهرة،مركز البحوث والدراسات العربية،ص١٢٨.

وقبائل همدان، وقبائل مذ حج. وترتبط بصلة نسب تعود إلى سبأ الحفيد الأكبر لقحطان، ويعتبر حمير من نسله، بينما يعتبر"همدان" و"مذ حج" من نسل أحد أبنائه الآخرين وهو كهلان بن سبأ."[1] وأبرز القبائل في شمال اليمن هما قبيلتا، حاشد، وبكيل، وكل من القبيلتين يرجع اصلهما إلى صلة نسب واحدة، تتمثل في"همدان"."[2] ومن خصائص القبيلة أنها تتصف بطباع حادة، فهي منقسمة على نفسها ومتعصبة لبعضها البعض،ويعود ذلك إلى التركيب الهرمي للقبيلة الذي يقف على قمته، شيخ القبيلة، يليه السادة والقضاة والفقهاء، ثم الأعيان والأمناء، ورجال القبائل، ثم يليهم المزا ينة،والد واشين، والمطبلين والصناع، والجزارين، واليهود والأخدام."[3] ويطغى على حياة القبائل الخوف، والاضطراب، وينتشر بينهم القتل.والثأر يصبح من الظواهر المألوفة داخل القبيلة، وقد يكون القتل لأسباب بسيطة، ومن تقاليد الفرد في القبيلة حمل السلاح، فهم يهجرون حقولهم، ومواشيهم، ورزقهم، لحمل السلاح، يوماً مع العدو ويوماً مع الحاكم، كما عملت حاشد وبكيل أيام الإنجليز."[4] وفي خلال الحرب الأهلية اليمنية بعد عام١٩٦٢م، ونتيجة لهذا السبب انتشرت الفوضى، وانعدمت الثقة بين غالبيتهم.وأخذت الدولة تعمل حسابها في احتواء مشائخ القبائل من أجل الاستقرار. وبما أن القبيلة متماسكة فقد مثلت قوة ضغط على النظام السياسي، وكما حدث في عام١٩٧٠م بعد الحرب الأهلية كانت قبيلتا حاشد وبكيل تشرفان على توجهات الدولة.

---

١) فضل أبوغانم: المرجع السابق،ص٦١.

٢) الحسن بن أحمد الهمداني:الإكليل،ج١،في أنساب قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ،تحقيق محي الدين الخطيب،القاهرة،١٣٦٨ه،ص٧٣.

٣) عبد الكريم الخطيب: ظاهرة الاستقرار السياسي في الجمهورية العربية اليمنية، ١٩٧٠-١٩٨٣م، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، المقدمة إلى جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، عام١٩٨٨م، ص٣٧.

٤) المرجع نفسه:ص٤١.

"[1]وكان رهان البقاء للقيادة السياسية العليا في شمال اليمن، قائماً على كسب ولاء القبائل وتأييدها، فقد حاول الرئيس ألحمدي أن يحد من الدور القبلي ومشاركته في النظام السياسي فأدى ذلك إلى اغتياله مع أخيه وبعض رفاقه القياديين أثناء دعوتهم لتناوله طعام الغداء معهم في منزل صديقه ورفيق نضاله رئيس هيئة الأركان أحمد الغشمي، المنتمي إلى قبيلة همدان، مما يدعونا إلى القول، إن القبيلة عندما سيست بعد الثورة، أصبحت تطمح إلى الوصول إلى السلطة بأي طريقة خلافاً لكل الأعراف القبلية التي تتسم بعض بنودها بالنبل وعدم الغدر.وبما أن معظم هذه البنود العرفية، أصبح العمل بها موقوفاً وأصبحت سمة الاغتيالات والمشاركة فيها تعبيراً عن رفض القبيلة لقرارات تصدرها الدولة ضدها.

وللقبيلة القدره على تكوين جيش في أسرع وقت ممكن، لنجدة مطلوبة منها، أو للدفاع عن عار، أو إذاطلب النظام الحاكم نجدتها موافقة رؤساء القبائل مقابل قدر كبير من المال، وقد حددت الدولة في بعض الفترات مبالغ ضخمة من ميزانيتها لرؤساء القبائل من أجل كسب ولائهم واستجابة لضغوطهم.

لقد تعرض اليمن الشمالي منذعام١٩١٨-١٩٦٢م إلى محاولات تمرد، كان أبرزها منذ مطلع العشرينات وحتى منتصف الثلاثينات، تمرد الرصاص في البيضاء، وناصر مبخوت في حاشد، ومناع في صعدة، والدباغ في حريب، والقردعي في مراد، والزرانيق في تهامة، والحسانيين في المقاطرة."[2]

ولم تستطع القبائل الحميرية، والمذحجية، الحفاظ على وحدتها الاجتماعية، كما هو الحال لقبائل حاشد وبكيل، حالياً، لأن مسألة التحول والتغيير كان مألوفا نتيجة الوحدة القرابية. والضرورة تقتضي أحياناً إقامة حلف بينها وبين

---

١) المرجع نفسه:ص٤٢. ،انظر أيضاً:

American Arab ،،Katz Mark N. North Yemen between East and West Affairs،Spring 1984، no. 8، p.100..

٢) عبد المجيد المخلافي: مرجع سابق، ص١٢٩.

القبائل المجاورة، أو الدخول في حماية قبيلة أخرى أقوى منها. وأدى ذلك إلى نوع من التحول في الانتساب لبعض تلك القبائل والانتساب هنا يكون على شكل جماعي أو فردي ويسمى في العرف القبلي" المواخاة"[1] ويأتي هذا باللجوء عندما تستشعر هذه المجموعة، أو الفرد، عنصر الضعف وخاصة عندما تفتقد إلى الروح القتالية، وخضوعها لسلطة الدولة. إن قبائل حاشد لها قبائل أصلية وأخرى متحالفة معها، نفس الوضع لقبائل بكيل.فالقبائل التي تعرف(بالمتبيكلة) وهي الغير أصلية التي ارتبطت عن طريق المواخاة، أو الانضمام، وقبائلها الأصلية، هي أرحب، ونهم، وقبيلة شاكر، والتي تعرف الآن، بذوغيلان، وتتكون من قبائل ثلاث، هي عيال سريح، وذو محمد، وذو حسين، وقبيلة همدان الشام، في لواء صعدة، وهي غير همدان حاشد التي تقع في الشمال الغربي من صنعاء. وتضم عدداً من القبائل الرئيسية، وهي قبيلة العمالة، وجماعة، وسحار، وخولان بني عامر، وهي غير خولان الطيال وكذلك قبيلة سفيان، أما القبائل المتبيكلة، وتضم كلا من، الحيمتين الداخلية والخارجية، والحداء، وقيفة، ومراد، وحجور اليمن، وبني حشيش، وآنس، والرياشية، وقبيلة السوادية."[2]

ورابطة القرابة والانتماء تنتسب إلى أصل واحد يتمثل في الأب الأول للقبيلة وعلى هذا الاعتقاد، يعمل كل الأعضاء، ووحدات القبيلة في اتجاه مشترك ضمن مصلحة القبيلة.وقد ارتبط استقرار القبيلة بعامل الزراعة، فسكن أفرادها منازل مبنية من الأحجار، ومناطق أخرى من الطين، فأصبح الاستقرار المكاني مرتبطاً بالزراعة.

---

١) فضل أبو غانم: المرجع سابق، ص٧٣، " والمواخاة هو نظام قائم في المجتمع القبلي في كل من حاشد، وبكيل، فالفرد أو الجماعة في القبيلة في حالة الاعتداء أو الظلم، يقوم باللجوء إلى قبيلة أخرى لغرض الحصول على الحماية والمساعدة في رفع الظلم عنه والوقوف إلى جانبه في تحمل التبعات، والمسؤوليات المختلفة في القبيلة حتى يتم إعادة ما فقده، ورد اعتباره من القبيلة التي تركها، ومن حقه أن يستمر مواخياً للقبيلة التي لجأ إليها أو العودة إلى قبيلته الأصلية."

٢) فضل أبو غانم:مرجع السابق، ص٧٦.

"[1] ومن العادات القبلية استخدام ذبح الحيوانات في حالة شجار عائلي، أو بين عائلتين من قبيلتين مختلفتين، سواء كان النزاع نتيجة إساءة شفوية أو اعتداء على عرض، أو مال أو قتل، تنتهي جميعها بذبح ثور أو عجل، أو خروف، حسب نوع الإساءة أو الجريمة، فالثور الهجين عند الاعتداء بالقتل، وثور الدفن أو الطلي قبل دفن القتيل، وثور الردم، يقدم لأهل القتيل بعد الدفن، وتدفع الدية من قبل القبيلة، يقوم الشيخ بجمعها وأحياناً يحدث السماح والعفو."[2] والعصبيات القبلية تلعب دورا كبيراً في الحياة السياسية القبلية وعدد القبائل اليمنية التي تقيم في جبال الهضبة "١٤١ قبيلة"، وعدد قبائل تهامة اليمن" ٢٧ قبيلة" وتنقسم كل قبيلة من تلك القبائل الكبيرة إلى عدة قبائل صغيرة."[3]

ولكل قبيلة من تلك القبائل تقاليد وعادات.ومنذ الفتح الإسلامي هاجرت بعض الجماعات القبلية إلى وادي النيل، وشمال إفريقيا، وكانت كل منها تطلق اسمها في الغالب على المكان الذي تحل فيه.وفي مصر توجد بعض العائلات وأسماء قرى ومحلات تحمل أسماء تلك القبائل وخاصة في جهات الصعيد، وهناك تشابه في الملابس وتصفيف شعر النساء، وكثير من الألفاظ التي يستخدمها أهل القبائل في اليمن ويصعب فهمها على سكان القاهرة."[4]

---

١) سيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٣م، ص١١.

٢) عبد الكريم الخطيب: مرجع سابق، ص٤٤.

٣) احمد فخري: اليمن ماضيها وحاضرها، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، مطبعة الرسالة، ١٩٥٧م، ص٣١.

٤) أحمد فخري: مرجع سابق، ص٣٤.

وتحتفظ المناطق اليمنية المختلفة بأسماء القبائل فتعرف بها، وتحافظ البيئة اليمنية بجبالها وسهولها على النمط القبلي، ويعود حرص المنتمي للقبيلة إلى الخوف من قسوة الظروف الطارئة سواء طبيعية أو غارة قبيلة طامعة في أوقات انهيار الاستقرار والأمن نتيجة الحروب."[1]

ومن الآثار السيئة المترتبة على السمات العصبية القبلية هو الثأر، وانتشاره يعود إلى عدم مركزية الدولة واعتبار القتل مشكلة تهم كل القبيلة، إذ يلجأ القاتل إلى القبيلة الأخرى، ويصبح القاتل آمنا، حيث لا يطبق عليه أي حكم شرعي كالقصاص، بل يعرض على الأحكام العرفية وتفرض عليه الدية. وإصرار الفرد داخل القبيلة على تملك السلاح الناري والأبيض" الخنجر ويسمى الجنبية" وحملهما معاً، باعتبار ذلك من مكملات الشخصية ورمز الشجاعة، والرجولة، ونتيجة لذلك ينتشر النهب وقطع الطرقات، والتهريب، والحروب القبلية، والاغتيالات، والإقدام على القتل لأسباب تافهة بسبب حمل السلاح وغياب الرادع الشرعي في تطبيق الحدود داخل القبيلة."[2]

والملاحظ أن النسب المستقل لكل قبيلة سمح للفرد المنتمي إليها أن يفاخر بأمجاده، بنوع من الأستعلاء، فالإحساس بالتفوق الاجتماعي، والحق السيادي المتمركز داخل إطار قبيلة معينة خلق في مخيلة أفرادها نرجسية" عقدة الأنا"، مع إفراز نمط جديد من الحاكمية المطلقة على أنفسهم. وبالتالي تعتبر القبيلة ظاهرة اجتماعية واقتصادية، وسياسية بارزة، وقوية، وتأثيرها لا يقتصر على الريف فحسب، بل تشارك المدينة في هذه المؤثرات الوافدة إليها من الريف.لقد طرأت بعض المتغيرات للكيان القبلي بعد الثورة السبتمبرية في اليمن الشمالي، حيث تعرضت القبيلة لهزات حضارية بحكم الهجرة الداخلية من الريف إلى المدينة، مما

---

١) سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، المطبعة العالمية، ١٩٦٩، ص١٣.

٢) عبد الكريم الخطيب. مرجع سابق، ص٤٥. انظر أيضاً: محمد أحمد نعمان: الأطراف المعنية في اليمن، عدن، منشورات الصبان، ١٩٦٥م، ص٧٩.

أكسب القبيلة نوعاً من الانفتاح على المدينة ومهدت إلى إبراز عوامل نفسية جديدة ومفاهيم اقتصادية وسياسية وثقافية حديثة، أدت إلى نوع من التعامل مع الواقع الجديد، على أساس التعايش بين الريف والمدينة. وبدأ الإنسان الريفي يتعامل مع الآلات الزراعية الحديثة، والأدوات والآلات التكنولوجية الحديثة الموجودة في السوق، كالأدوات الكهربائية، والراديو وغيرها، والتي كانت في الماضي القريب بعيدة المنال، مما جعل التغيير أمراً ملحوظاً داخل القبيلة، حتى المظهر الشكلي لأبن القبيلة. وأوجدت الدولة المدارس التي من خلالها بدأ التغيير يواجه مستقبلاً جديداً، فبدأ التغيير في حجم الأسرة، وأسلوب معيشتها، وفي نمط غذائها وسكنها من حيث البناء، والتأثيث، وأفرزت هذه الظاهرة أيضاً النشاط التجاري بين الريف المستهلك والمدينة المستوردة لكل هذه الحاجيات، وأصبحت اليمن بلداً ريعاً، يستهلك كل شيء دون أن ينتج شيئاً ذا قيمة، حتى شجرة البن، أصبح الإنتاج المحلي منها لا يغطي طلبات السوق في الداخل، وبدأ الاستيراد من البرازيل والحبشة.ويعزى بقاء النظام القبلي لكونه يؤدي وظائف اجتماعية، فالقبيلة تقوم علاقتها على الروابط الاجتماعية، التي تدور حول" العصبة" التي تحدد نوعا من تبادل الواجبات والحقوق، حيث يسود الشعور بالمسؤولية، واستنكار الأعمال التي تعرض القبيلة للخطر."[1] وفي الشطر الجنوبي من اليمن، تنقسم القبيلة إلى قسمين، قسم يسكن المناطق الساحلية القريبة من عدن والمدن الأخرى كمنطقة العبادلة في لحج وبعض قبائل مناطق الفضلي الساحلية، وبعض قبائل يافع الساحل وسكان المدن كالضالع وجزء من قبائل أحور، في العوالق السفلى، وسكان بالحاف، وحيان، وبير علي، في الو حدي، والقبائل الساكنة بالقرب من مدينة المكلا وغيلان بالوزير، والشحر، والديس، والحامي، ودوعن، وسيون، وتريم، وشبام، والقطن، في حضرموت، هؤلاء تمتعوا ببعض العوامل الحضرية، كالعمل بالتجارة والزراعة، وأدى ذلك إلى ارتفاع مستوى حياتهم المعيشية.

---

١) المخلافي: مرجع سابق، ص١٣٤.

والقسم الآخر يضم قبائل يافع الحيد من يافع السفلى، يافع العليا، وقبائل المراقشة في ألفضلي، وقبائل دثينة وردفان والعوالق وبيحان، والحوا شب، والصبيحة، والوا حدي، وقبائل الكرب، والصيعر، والحموم، ونوح والمناهيل، والعوامر. وهؤلاً يعيشون حياة شاقة ومازالوا يعيشون في شظف العيش، ويحتفظون بأسلحتهم الخفيفة."[1] وبسبب الخلافات والثارات يزيد الطلب على الأسلحة الخفيفة. ويعود تمزق هذه القبائل إلى النزوع إلى الانفرادية، وعادة الثارات، وقلة المتعلمين داخل القبيلة."[2]

وفي ظل الصراعات القبلية الدموية لم يكن ممكناً تكوين إطار وحدوي بينها، وقيام دولة يكون من مهامها وضع حد للثارات السائدة بينها.(١)[3] واتخذت الدولة قرارات صارمة في قضية الثأر وتعهدت بمعاقبة أي شخص يرتكب ثأراً في الريف، وفي عام١٩٧٠م أصبح الثأر القبلي جناية قصوى، وشنت الدولة هجوماً على القبيلة، عن طريق حظر كافة التنظيمات والأندية القبلية في المحافظة الأولى."[4]

إلا أن القبيلة لم تنته بهذه الصورة بل سيست، وأصبح منها رجال عقائد يون في قمة الحزب. وفي ١٣يناير١٩٨٦م كشف الغطاء، فقد تحول الصراع الدامي، إلى قبلي وقروي، بعد أن غلبت المفاهيم القبلية وعصبيتها على المفهوم الماركسي المنظم لجميع القوى في إطار واحد. فالأمية المنتشرة في الوسط القبلي أسهمت إلى حد كبير في استمرار النظام القبلي، في عاداته، وأعرافه، وتقاليده، ويستخدم

---

١) المرجع نفسه:ص١٣٥.، انظر أيضاً: أحمد عطية المصري: الحركة الوطنية في اليمن الجنوبي، رسالة دكتوراة، في العلوم السياسية، مقدمة إلى كلية الحقوق، جامعة القاهرة، ١٩٧٤م.

٢) المرجع نفسه، ص١٣٥: انظر: فحطان محمد الشعبي، الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن، القاهرة، دار النصر للطباعة والنشر والإعلان، ١٩٦٢م.

٣) محمد علي الشهاري: جدل حول الثورة والوحدة اليمنية، ودروب بأذيب، القاهرة، مكتبة مد بولي، ط١، ١٩٩٠م، ص١١-١٢.

٤) الحدث.. والمستقبل: مرجع سابق، ص٤٨.

علماء الاجتماع، مفهوم القبيلة كإشارة إلى المتناقضات القبلية، والرغبة في الإبقاء على الوضع المتخلف للمجتمع."[1]

والقبيلة تقوم على وحدة القرابة، بينما الدولة التي تضم جميع فئات الشعب، تقوم على وحدة المكان والجوار."[2] ويقوم على رأس القبيلة في اليمن الجنوبي"الشيخ" وهو صاحب الكلمة العليا بين أفراد القبيلة. وتنقسم القبيلة إلى عشائر وبطون وأفخاذ، واتحادها القبلي لا يحكم وجوده نظام ثابت، باعتبار أن للقبيلة نظاماً عرفياً، يمنحها حرية البقاء أو الانسحاب، والقبيلة التي ترأس الاتحاد القبلي تقوم إمكانيتها على مدى خضوع القبائل الأخرى لها.

خلاصة القول ان القبيلة في شمال اليمن أو جنوبه، تعتبر امتداداً تاريخياً، متضمنة في إطارها نزعات قرابية، وعصبية، وكان من مهام الثورة في شمال اليمن في بداية مراحلها الأولى أن تخفف من وطأة الضغط القبلي وتضع إطاراً تنظيمياً، لذلك أصدرت القيادة السياسية قراراً حدد مهام واختصاصات وزارة شؤون القبائل التي تمارس سيطرتها عن طريق لجنة مركزية لها اختصاصات تتمثل في الإشراف على مجالس الشيوخ في الجمهورية ودراسة مقترحات مشاريع يخص شأنها مع وضع خطط، وبرامج لنشر الوعي بين القبائل والعمل على تحقيق عمل نهضوي يحقق الخير والنفع لأفراد القبيلة، كما تقرر إنشاء مجلس شيوخ في كل قبيلة، وفي كل محافظة أيضاً على أن ينشأ في العاصمة مجلس أعلى للشيوخ."[3] وأصدرت الدولة قراراً بقانون رقم(١) لسنة١٩٦٢م في شأن مجالس الشيوخ، نظم هذا القانون الكيفية التي يمكن من خلالها وضع القبائل تحت المجهر للدولة، من خلال مجالس الشيوخ في كل محافظة،وكل قبيلة، ومن ثم تتمكن الدولة من رصد حركاتهم،وإذابة العصبية التي ولدتها العزلة.ولكن الأعراف القبلية لم تتغير ولم

---

١) الشعبي: مرجع سابق، ص١٥١.

٢) المرجع نفسه: ص١٥١.

٣) قرار رقم١٨، لسنة ١٩٦٢م،.

تستطع الدولة فرض مركزيتها، وإزالة ركام التخلف من القبائل فلم يتغير شيء مما خططت له الدولة منذ أيامها الأولى.

المسألة التعليمية:-

عندما نؤرخ للتعليم، فذلك يعني تاريخ التطور الحضاري للإنسان فالتعليم هو القيمة الحقيقية للإنتاج الاقتصادي المادي، وللفكر الإنساني بشكل عام.ففي اليمن الجنوبي، وجه الاستعمار البريطاني الحركة التعليمية في حدود ما يضمن توفير متطلبات الإدارة المدنية والعسكرية، من الكتبة والمؤهلين مهنياً، ومستخدمين في الجيش والشرطة الأقل تأهيلاً، وما يتطلبه البنوك، والأعمال التجارية الخاصة.وكانت كلية بلقيس في عدن، تمثل مدرسة عليا متكاملة ذات اهتمامات تعليمية مختلفة، وقد تخرج منها الكثير من المتعلمين، وكانت ملتقى اهتمامات المثقفين وأنشطتهم."[1] وبصفة خاصة لليمنيين الشماليين الذين كانوا يجدون فيها متنفساً لهم.وبسبب عزلة الريف، فقد حرم من التعليم بشكل تام، فقد كان شبيهاً بالشمال، وبعد الاستقلال في الجنوب، كان شغف التعليم لدى الجيل الذي عاصر مرارة الأمية في عهد الإنجليز، تجسد ذلك في المبادرات الشعبية في بناء المدارس للتعليم الابتدائي، ووفرت الدولة المدرسين، وقدمت مساعدتها للنهوض بالتعليم الابتدائي بالريف، وبناء رياض الأطفال من أجل رعايتهم وتربيتهم، إلى جانب ما قام به المدرسون اليمنيون في الريف في مجال محو الأمية، وكانت تجربة قاسية حيث جعلتهم يشعرون بوطأة التخلف التعليمي والثقافي الذي يعاني منه الفلاحون وأبناؤهم في الريف ووطأة الحياة القاسية التي يعاني منها وطنهم اليمن. ولم يقتصر دور الدولة على ذلك، بل تعداه حيث شمل التعليم الثانوي والجامعي."[2] ومع مطلع السبعينات تم فتح العديد من المدارس الثانوية، والكليات

---

١) حمود العودي: المثقفون في البلاد النامية، القاهرة، عالم الكتب، ط١، ١٩٨١م، ص١٦٤.

٢) عبد الفتاح إسماعيل وآخرون: مناقشات حول الثقافة اليمنية، بيروت، دار ابن خلدون، ط١، ١٩٧٥م، ص١٢.

الجديدة والمعاهد المختلفة، كما تم إيفاد المئات من الطلبة للدراسة في جامعات البلدان الاشتراكية، من أجل رفع درجة التعليم والتحصيل العلمي للجيل الجديد، في اليمن الجنوبي."[1]

ففي العام الدراسي٧٠/١٩٧١م، بلغ عدد الطلاب في الشطر الجنوبي، "١٤٠٠"طالب وطالبة، بزيادة تقدر ب"١١٠، ٥٪" وإن مجموع عدد المدارس في عام٦٦/١٩٦٧م" ٢٦٨" مدرسة ابتدائية وإعدادية، وثانوية، بينما بلغ عددها في عام٧٠/١٩٧١م، "٩١٥" مدرسة، أي بزيادة تقدر ب"٢٤١، ٤٪" ومنذ عام١٩٧٢م، وحتى عام ١٩٨٠م أنشأت جامعة عدن لتكمل المسيرة التعليمية."[2]

وفي اليمن الشمالي كانت أول بعثة تعليمية في عهد الإمام يحيى في عام١٩٤٥م، أوفدت إلى لبنان مكونة من أربعة وثلاثين طالباً. دون المتوسط في المستوى التعليمي، لإلحاقهم بمدرسة المقاصد الإسلامية بفرعيها في صيدا وطرابلس من أجل الاستزادة في المذاهب الشيعية وعلومها.

وبعد حركة ١٩٤٨م، تم نقلهم إلى القاهرة نتيجة أزمة سياسية حدثت بين حكومة اليمن والحكومة اللبنانية، بسبب منح لبنان حق اللجوء السياسي للفضيل الورتلاني" جزائري الجنسية" والذي ساهم في التخطيط في انقلاب١٩٤٨م، ورفضت حكومة رياض الصلح تسليمه للإمام أحمد حسب طلبه."[3]وكانت البعثة الثانية في عهد الإمام يحيى أيضاً إلى القاهرة في عام١٩٤٨م، وقد أعيدت من عدن بعد مقتل الإمام يحيى، وبعثة عسكرية محدودة أرسلت إلى العراق عام١٩٣٦م من بين أعضائها، عبد الله السلال، الذي قام بمهام رئاسة الجمهورية في ثورة ٢٦سبتمبر ١٩٦٢م.

كما تم استقدام عدد من الضباط العراقيين للمساهمة في تدريب الجيش اليمني بعد رحيل الأتراك، من بينهم جميل جمال، الذي ساهم في حركة١٩٤٨م،

---

١) المرجع نفسه، ص١٣.

٢) حمود العودي: مرجع سابق، ص١٦٧.

٣) حمود العودي: مرجع سابق، ص١٦٢.

وأعدم بعد فشل الحركة.وفي عام١٩٥٤م أرسلت أول بعثة في عهد الإمام أحمد إلى القاهرة للتعليم العام الإعدادي والثانوي، مكونة من خمسين طالباً، وحدد منطقة بني سويف، مقراً لدراستهم، تحت إشراف مندوبين يمنيين، وظلوا هناك حتى عام١٩٥٧م، وتم نقلهم إلى حلوان. وقد التحق عشرة منهم بالكلية العسكرية والشرطة، مع من سبقهم من بعثة بيروت، ثم تقرر نقل الجميع ممن لم يلتحقوا بالكلية العسكرية والشرطة، إلى طنطا لمواصلة التعليم العام،حيث وصل عددهم هناك إلى ما يقرب من مئتي مبعوث رسمي، وحتى قيام الثورة كان معظم المبعوثين في التعليم العام، والبعض الآخر كان قد التحق بالجامعات، وعدد قليل منهم كان قد أكمل تعليمه الجامعي."[١]

وكان هناك بعثة غير رسمية بتمويل ذاتي أو من التجار تم إرسالهم إلى مصر وغيرها، عن طريق نشاط" الاتحاد اليمني" الذي كان مقره عدن، والذي تم فتح فرع له في القاهرة، بعد ثورة٢٣يوليو١٩٥٢م، وكان الاتحاد يقوم بجمع التبرعات من المهاجرين والتجار لتمويل نفقة المبعوثين، "[٢]

وفي عدن كان يوجد خمسمائة طالب يمني شمالي يتلقون التعليم في عدن، "[٣] ويوضح محمد سعيد العطار، "[٤]في كتابه التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن، أن المبعوثين اليمنيين على نفقة الحكومة اليمنية بين عامي٦٠/١٩٦١م/ يزيد عددهم عن ستمائة طالب. موزعين على النحو التالي:-

((مصر٣١٨/ الكويت٢٠/ روسيا٣٦/ الصين الشعبية٧٦/ ألمانيا الشرقية٥٠/تشيكوسلوفاكيا٤٠/ هنغاريا٦/ رومانيا٤/ البانيا٤/ يوغسلافيا٢٠/ أمريكا الشمالية١٥/ إيطاليا٢٥/ فرانسا٢٥/ الإجمالي٦٣٩..طالباً))

---

١) المرجع نفسه: ١٦٢.

٢) المرجع نفسه: ص١٦٣.

٣) محمد إبراهيم الحلوة: مرجع سابق، ص١٤٧.

٤) محمد سعيد العطار: مرجع سابق، ص١٠٨-١٠٩.

أما عدد المدارس فقد كانت على النحو التالي:-

((المدرسة الصناعية(١)/ المدرسة الصحية(١)/ المدرسة الثانوية لإعداد المعلمين(١)/ المدرسة الزراعية الثانوية(١)/ المدرسة الإعدادية(١)/ المدرسة الثانوية"٣"/ مدارس التعليم العلمي١٥"))[١]

هذا البناء التعليمي كان متواضعاً في ظل المتغيرات الفكرية والعلمية في الساحة العربية بشكل خاص، لذلك اهتمت القيادة السياسية بعد الثورة في بناء الصرح التعليمي بشكل يواكب المرحلة بعد عام ١٩٦٢م، وتظافرت الجهود بعد قيام ثورة سبتمبر١٩٦٢م، وكان لابد من استعمال المنهج التعليمي التربوي المصري، ابتداء من رياض الأطفال وحتى الثانوية العامة.ومنحت الدولة معظم خريجي الثانوية العامة، منحاً تعليمية خارج الوطن، منذ عام١٩٦٣م وحتى عام ١٩٧٢م عندما بدأت جامعة صنعاء، وجامعة عدن، تستوعب الكثير من خريجي الثانوية العامة بما لا يزيد عن٢٠٪ لأن هذا الأمر شكل عملية التزام أدبي ووطني للدول"[٢]"ومن خلال انخراط هذا الزخم الكبير من الشباب في سلك التعليم العام الذي عملت الدولة على تنظيمه، وفتح الكليات والعاهد العسكرية للجيش والشرطة، وإيفاد آلاف الطلاب إلى مختلف الدول العربية، والأجنبية للتعليم المتوسط والجامعي والعسكري، في إطار من التوحد الوطني بين أبناء الشمال والجنوب، ومن خلال الأرقام يتبين لنا الإقبال العظيم على التعليم، أما الموفدون إلى خارج اليمن في التعليم الجامعي، والدراسات العليا، فقد وصلوا إلى ما يقرب من أربعة آلاف طالب وطالبة، منهم قرابة ألفي طالب في مصر وحدها في مختلف التخصصات."[٣]"ووصل عدد المدرسين في التعليم الابتدائي، والإعدادي، والثانوي، في عام١٩٨٣م، إلى"٢٢٥٤ معلماً يمنياً وإجمالي عددهم" ١٦٩٥٧" كلهم معارون من دول عربية،

---

١) حمود العودي: مرجع سابق، ص١٩٣.

٢) العطار: مرجع سابق، ص١٠٠.

٣) الجهاز المركزي للتخطيط: صنعاء كتاب الإحصاء، ١٩٧٦م، ص١٥١.-١٥٩.

ويصل عدد المدرسين المعارين من الأقطار العربية الذين تحتاج إليهم اليمن عام١٩٩٠م تقريبا إلى ستين ألفاً."[١] "

أما في جنوب اليمن فقد استغنوا عن المعارين في التعليم الابتدائى والإعدادي، والثانوي، وبقي احتياجهم للمعارين العرب في التعليم الجامعي فقط، لأنهم حققوا فائضاً في الكادر المتوسط، ومن خريجي الكليات العلمية، الطب والهندسة والزراعة."[٢] "

إلا أن الطفرة التعليمية في شمال اليمن حققت عملياً الكثير، مقارنة بالفارق التعدادي للسكان مع الجنوب اليمني، والإمكانيات المحدودة أيضاً، وإن كان قد رافق ذلك تدني الكفاءة التعليمية بسبب الخلل المنهجي، والفوضى الإدارية، والمالية، والتي واكبت الثورة، عكس ما تميز به اليمن الجنوبي من انضباط إداري ومالي.

البنية الاقتصادية:-

تشكل الزراعة أساس البنية الاقتصادية، ففي اليمن الشمالي توجد ثلاثة أشكال لملكية الأرض الزراعية:-

ملكية الدولة:- وهي الأراضي الحكومية وتمثل نسبة٢-٣٪ من جملة الأراضي الزراعية.

ملكية الأوقاف: وهي الأراضي التي تم وقفها للأعمال الخيرية وتدخل فيها المساجد وتمثل نسبة من ١٥-٢٠٪ من جملة الأراضي الزراعية.

---

١) حمود العودي: مرجع سابق، ص ١٦٦.

٢) محمد عبد السلام: الجمهورية بين السلطنة والقبيلة في اليمن الشمالي، القاهرة، شركة الأمل للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٨م، ص٣٦.

الملكية الخاصة: وتمثل ما يتراوح من ٧٧-٨٣٪ من جملة الأراضي الزراعية."[١] "ويقوم المعدمون باستئجار الأراضي من الأغنياء ويسمى" شريك" ويقسم المحصول بين المالك والمستأجر.

وتتعرض الزراعة إلى كثير من التغييرات، فالنقص في اليد العاملة الزراعية يتزايد باستمرار باعتبار أن الحوالات المالية، من المهاجرين، تستحوذ على اهتمام الرجال، وابتعادهم عن العمل الزراعي. وهذا النقص في اليد العاملة كان له تأثير في تغيير نوعية المحاصيل المزروعة، كما أن الحوالات المالية عملت على التغيير بشكل متدرج لمتطلبات المستهلك، ومن هنا نتج ارتفاع سريع في أسعار بعض المحاصيل، ومن غير المفاجيء أن يتجاوب المزارعون مع عامل السعر."[٢] "ومسألة نزوح اليد العاملة اليمنية إلى الخارج وخاصة إلى المملكة العربية السعودية، غير من دخل الفرد، من الحوالات المالية التي يقوم المغترب بتحويلها إلى بلاده، وانعكس ذلك إيجابياً على الاقتصاد اليمني عامة. وفي مجال التنمية" ناقش تقرير عن الحياة الزراعية في اليمن والتغيرات الريفية"."[٣] "مسألة التحديات التنموية الكبيرة التي تواجهها اليمن من ارتفاع في نسبة الأمية إلى نقص في الكفاءات على كافة الأصعدة.

وتميز اليمن بتاريخ عريق في الإنتاج الزراعي وتنوعه، وتختلف وسائل الإنتاج منه لاختلاف البيئة الطبيعية من منطقة إلى أخرى في اليمن، فهناك السهول والجبال والتلال، وقد كان للطبيعة تأثير على توزيع السكان الجغرافي، في تجمعهم في قرى صغيرة معزولة تفتقر إلى الأساسيات من الحاجات التي لم تواجهها

---

١) عبد الكريم الخطيب: مرجع سابق، ص٥٧، نقلاً عن: جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، السياسات الزراعية للجمهورية العربية اليمنية، ج٢١، الخرطوم_ نوفمبر، ١٩٨٣م، ص٥٧.

٢) John .Cohen. Emerging Rural patterns in the Yemen Arab Republic Results of a21- community cross- sectional study . Cornell university 1983.،Rural Deve lopment participation project. March

٣) David Lewis. Working Note No.2 ،Local Development Associations ، in the Yemen Arab Republic. Cornell University ،January 1980.

الحكومة المركزية بسبب إمكانياتها المحدودة، وظهرت بعد الثورة مؤسسات التنمية المحلية وتمول من الزكاة والتبرعات ومخصصات من الحكومة، وتقوم بمشاريع هامة.

والزراعة في الشطر الجنوبي من اليمن، تقدر مساحتها الكلية ب(٧٢مليون فدان) منها٢-٣٪ قابلة للزراعة، وتبلغ حوالي(٢.١مليون فدان)، اما الأرض المزروعة فتتغير من سنة إلى أخرى تبعا لتغيير منسوب المياه كهطول الأمطار، وتتراوح بين(١٢٠٠الى١٢٢٠ ألف فدان)"[١] "

وتجدر الإشارة إلى إن إجمالى الدخل القومي قبل الاستقلال من قطاعي الزراعة، والصناعة، كان يبلغ٢٧٪ من إجمالي الدخل وهي نسبة ضئيلة مقارنة بمساهمة قطاع الزراعة إذتبلغ١٠و٨٪ من مجموع الدخل القومي في الوقت الذي يعتمد فيه أكثر من ثلثي السكان على الزراعة.

وفي الشطر الشمالي، قدم فريق كور نيل، التابع للوكالة الأمريكية للتنمية في اليمن، دراسة اجتماعية واقتصادية عن منطقة" بني عوام" محا فظة حجة، قام بالدراسة الباحث " جون سوانسون، "١٩٨١م. "[٢]" وذلك باعتبار بني عوام نموذجاً حياً قد ينسحب على معظم مناطق الجمهورية، فقد كانت الزراعة الدعامة الأساسية للهيكل الاقتصادي لناحية بني عوام، وعندما فتح باب الهجرة لليد العاملة إلى السعودية، أثرت هذه الهجرة على الوضع الاقتصادي لبني عوام إضافة إلى الأثر الاجتماعى الناشئ، فقد أفرزت الهجرة نقصاً في اليد العاملة في المنطقة وفي البلاد بصورة عامة، وقد أدى استقدام الكهرباء، بواسطة المولدات، إلى انتشار أجهزة التلفزيون، والراديو (الترانسيستور) والملابس، والمواد الغذائية وغير ذلك من المواد الاستهلاكية. فالتنمية الريفية من هذا المنطلق كانت تتجه نحو

---

١) حميدة نعناع: الصبح الدامي في عدن، بيروت،دار المستقبل العربي،ط١، ١٩٨٨م ،ص٣٩.

٢) Jon C. Swanson ، Working note No.9 ، preliminary Field Report: socio Economic conditions & Development Bani Awwam ،Hajja ،Governorate. Cornell University ، March 1981.

زيادة النشاط الإنتاجي في القطاع الريفي للتقليل من حاجة المزارع للعمل خارج البلاد.

وأدت زيادة الإنفاق الاستهلاكي واتساع شبكة الطرق إلى نمو قطاعي التجارة والنقل في الاقتصاد اليمني ونشطت التجارة في بني عوام، وضواحيها بسبب تحويلات المغتربين وتحسن وسائط النقل والطرق مما أدى إلى انخفاض كلفة النقل، وانخفضت بالتالي أسعار السلع واتسعت التجارة.

ولم تعرف اليمن الجنوبي قبل الاستقلال صناعات مهمة باستثناء صناعة الملح وكان أكبر مشروع اقتصادي هو إنشاء المصفاة في ميناء عدن، برأس مال بريطاني، في أوائل الخمسينيات.

ويمكن القول إن اقتصاد اليمن الجنوبي قبل الاستقلال كان اقتصاد خدمات، وهذا ما أدى إلى سهولة زيادة الرأسمال الأجنبي من خلال مشاريع بنكية، أو في مجال زراعة القطن بمنطقة لحج وأبين.

وكانت التجارة قبل إعلان الاستقلال تقوم على الحرية المطلقة في الاستيراد، وبلغت قيمة الواردات بالدولار في بداية عام١٩٦٧م ٦٧ مليون دينار يمني جنوبي"، هذا في الوقت الذي ظلت فيه الصادرات محدودة جداً، وتتمثل في الصيد البحري وبعض الصناعات اليدوية التقليدية. وهكذا استقبل الشطر الجنوبي من اليمن استقلاله، وهو بلد فقير الموارد لا يملك اقتصادياً مقومات الدولة."[1]

---

١) حميدة نعناع: مرجع سابق، ص ٤٠.

وعقب الاستقلال بعامين صدر قانون الإصلاح الزراعي، ١٩٦٩-١٩٧٠م، الذي لم يستطيع أن يوجد حلولاً ناجحة، إلا من الناحية النظرية فقط، لكن الإشكال هو تبني الدولة نظام التعاونيات، ونتيجة لنقص الكادر ونقص الكفاءة التأهيلية للعمل لم تنتج التعاونيات كما كان مفترضاً."[١]

وتدهور الوضع الزراعي في غياب الحلول الإصلاحية والمزايدات النظرية وفي منتصف الثمانينيات كانت اليمن الديمقراطي تستورد الخضار، والفاكهة من فرنسا والهند، وكذلك الحاجيات الأخرى. مما دفع علي ناصر محمد، عندما سيطر على مقاليد الأمور في البلاد إلى اتخاذ إجراءات هامة، مثل استيراد مضخات وبعض المعدات الزراعية."[٢] ولا يمكن الحديث عن الزراعة دون الحديث عن القات، وهو عبارة عن شجرة من فصيلة(cathe Endulis) تزرع في المناطق المرتفعة عن سطح البحر ٨٠٠م، ولأوراقه خصائص وسط بين الكوكايين والأفيون. "[٣] ويمضغ اليمنيون الأوراق، ويحتفظون بالأوراق مطحونة في أفواههم ويمتصون ماءها لعدة ساعات."[٤]

---

١) وقد أشار عبد الفتاح إسماعيل، في كلمته في المؤتمر التعاوني الثاني المنعقد في" سيئون" خلال الفترة من ٢٨-٣٠ نوفمبرعام١٩٧٦م إلى" أنه لمن المؤسف حقاً أن يظل النمط الأول من العمل التعاوني الإنتاجي الزراعي هو السائد في الظروف الراهنة نظراً لتدني وعي فلاحينا وضعف العمل السياسي بين أوساطهم وتخلف الإنتاج وعدم ملاءمة وانتظام الري. وبقاء الزراعة الفردية الصغيرة التي تعتمد العمل البدوي بمعزل عن التقدم العلمي" انظر أيضاً: حميدة نعناع، مرجع سابق ،ص٤١.

٢) نعلق حميدة نعناع في كتابها: الصبح الدامي في عدن، ص٤١. " إلى أن هذا العمل كان من أسباب معارضة التيار الماركسي المتطرف لعلي ناصر محمد ، وانه أصبح سلاحا للإطاحة به، وهذه المجموعة المعارضة هي التي وقفت ضد قرار محاسبة المخالفين لقانون التوسع في زراعة "القات".

٣) العطار: مرجع سابق، ص١٣٩.

٤) في القرن الخامس عشر الميلادي تحدث المقريزي عن مساوىء" القات" ومفعولة السيئ ، ذكر المقريزي في" الإمام"" إن مضغ القات يثير الذكاء، كما يثير ذكرى الأحداث المنسية، بالإضافة إلى ميل ماضغه إلى الضحك والقهقهة، فإنه يجنب فيه شهية الأكل والجنس ويذهب النوم عن عينه." العطار ، مرجع سابق، ص١٣٩.

وينتشر استعمال القات، بشكل كبير لدى المثقفين. ومن آثاره السيئة الإحساس بالتفاؤل وتبسيط كل المشاكل ويسرة حلها نتيجة خيال يستمر لبضع ساعات، ثم يظهر بعد ذلك أثره في صمت الماضغ وفي الكآبة التي تخيم عليه، وفي هذه الحالة يكون الدماغ مستمراً في نشاطه مما يسبب الأرق بشكل عام، ويختلف مفعول القات باختلاف درجات جودته. والذين ألفوا استعمال القات يحمدونه كثيراً ويضعونه في أسمى المراتب الجمالية. فاليمنيون يمضغون القات مابين ثلاث إلى خمس ساعات يومياً وبهذا نلاحظ كم من الزمن يضيع أثناء مضغ القات يقدر من "١٨٢٥إلى ٢١٩٠ساعة لكل فرد سنوياً."[١]

وبحكم شرعية تناول القات في أنحاء الجمهورية، أصبح تناوله أمراً مطلوباً عند معظم الناس وخاصة موظفي الدولة وأصبح من العوامل الأساسية في تفشي الرشوة بين الموظفين، وبارتفاع أثمان القات أصبحت السرقات والاختلاسات أمراً مألوفاً للحصول على قيمته.

وكانت عدن الميناء الوحيد حتى عام١٩٦٢م. ومركزاً تجارياً ودولياً،و بزياد ة الهجرة الداخلية من الجنوب والشمال، وكانت محطة الخروج إلى الخارج، وفيها عرف اليمنيون أن العالم أكبر من مملكة الإمام. وفيها احتكوا بكل العناصر اليمنية والأجنبية على اختلاف مشاربهم القافية، فكان هذا الاحتكاك سبباً من أسباب وحدة النضال بين أبناء اليمن الواحد. وأسفر هذا التلاحم إلى الخروج من عنق الزجاجة، فتدفق الكثير منهم إلى العالم الخارجي وهناك تعاملوا مع الأدوات الكهربائية الحديثة، والطرق العصرية، ووسائل الاتصال الدولية، ومع عابرات المحيط من السفن العملاقة. وفي الداخل تعاملوا مع المصافي والأندية الثقافية والمنظمات الحزبية المتاحة، ولم يكن للشماليين اليمنيين دراية بمعرفة الجيش الحديث والشرطة والمحاكم الحديثة، والطيران، والبحرية، ودور السينما إلا في عدن، فقد كانت عدن بالفعل نقيض مجتمع الشمال. وكان نصيب عدن من

---

١) محمد سعيد العطار: مرجع سابق، ص١٤٢.. انظر أيضاً: أحمد يوسف أحمد: الدور المصري في اليمن، ١٩٦٢-١٩٦٧م، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ،١٩٨١م، ص٥٩.

تجارة الشمال اليمني في عام ١٩٥٥م، حوالي ٩٠٪ وكان للتجار الشماليين مكاتب في عدن، للاستيراد والتصدير.

أما الزراعة فقد تدهور إنتاجها حتى تحولت اليمن إلى مستورد للحاصلات الزراعية الغذائية، ابتداء من عام١٩٦٠م بعد أن كانت قبل هذا التاريخ دولة مصدرة لهذه الحاصلات، وكان ابرز سبب هو قصور توجيه الدولة للفلاح،وتخلف وسائل الإنتاج."[١]

وتحول الفلاح من زراعة البن إلى زراعة القات، الأكثر ربحاً، وهناك سبب آخر رافق هذا التدهور هو فرض الضرائب الباهضة على الإنتاج الزراعي، الذي كان يبالغ في تقديرها والذي لم يكن يقابله تقديم الحكومة لأي نوع من التسهيلات للفلاحين، فضلاً عن استغلال مالكي الأرض لهم، فقد كان الفلاح يدفع ما يقارب ٢٥٪ من قيمة إنتاجه الزراعي ضرائب للحكومة."[٢] فضلا عما هو ملتزم به من الناتج الذي يصل أحياناً إلى النصف في بعض المناطق، وكان الظلم في تحصيل الضرائب يزداد عاماً بعد عام فكان هناك ما أطلق عليه نظام" الصبرة". "[٣] ويعني تقدير ما يلزم على الفلاح من دفع الزكاة، ثم يأتي" المثمر" وهو الذي يقيس المال ويخفف أو يثقل إن شاء، ويعتمد ذلك على الشخص الذي أوكل إليه هذا العمل وعلى أمانته، ويستلم أجره هو ومن معه من الفلاح مقابل تقديره للمال، وقد استمر نظام " التثمير" حتى بعد الثورة في المناطق التي لم يقدر لها الخروج من إسار الظلم أما ممتلكات الأوقاف فما زال التثمير جارياً فيها حتى اليوم.

وكانت الدولة، حتى بعد الثورة توكل الأمر إلى شيخ المنطقة حيث أوجدت نظام" التثمير" حيث يقوم الشيخ بتقدير الناتج الزراعي عن كل فلاح ويتخذ في ذلك أسلوب القوة، يساعده مدير الناحية وأصبح الفلاح بين فكي كماشة، ولم يجد إمامه إلا طريق الهجرة إلى خارج الوطن تاركاً وراءه أسرته تعاني

---

١) أحمد يوسف أحمد: مرجع سابق، ص٥٦.

٢) نفس المرجع، ص٥٦.

٣) وهي في اللغة تعني ، اشترى الشيء، صبرة، أي بلا وزن، ولاكيل، انظر : المختار الصحاح، باب الصاد.

الأمرين.للمنتجات الأجنبية المستوردة، وكانت هناك محاولة من قبل الدولة، فأقامت مصنعاً للغزل والنسيج. أما الصناعة في شمال اليمن فكانت صناعات يدوية قبل الثورة بدائية ولذلك لم تصمد أمام المنافسة التجارية عام١٩٥٧م. بمساعدة الصين الشعبية، ولم يكن لليمن المتوكلي مصارف مالية عدا المصرف السعودي الوطني للتجارة الذي أنشىء في عام ١٩٥٩م، وكان أشبه بوكالة للصرف أكثر منه مصرفاً حقيقياً."[١]

كذلك لم يكن لليمن عملة خاصة بها وكان التبادل يتم بالمقايضة أو بالريال "ماريا تريزا" النمساوي، المصنوع من الفضة ولم يكن للإمام أية سيطرة نقدية، فقد كان الريال الفضي سلعة يتحدد ثمنها بسعر السوق العالمي للفضة."[٢] ولم يحدث النظام الجمهوري تغييرات في بنية الاقتصاد اليمني، فقد زاد العجز في ميزان المدفوعات، مع زيادة في السلع المستوردة، وهي مستمرة منذ العقد الخامس، والتي تملا المحلات التجارية، ودكاكين القرى، كالسكر، والأقمشة والدقيق، والسجائر، والإسمنت، والشاي، والأغذية المعلبة، والأجهزة الكهربائية،وتوسعت طاقة الاستيراد إلى حد أنه شمل كل شيء حتى البن، الذي كانت اليمن تفخر به وتصدره إلى الخارج، كل هذا تم في غياب التخطيط الاقتصادي الفعال. وقد اكتفى الإمام بسك عملة مساعدة وكان النقص فيها يتم إجراؤه بخصم يصل الى٥٪ مقابل صرف كل ريال إلى عملات صغيرة."[٣]

وكانت عدن هي السوق الوحيد للريال باعتبار عدن المركز الذي يجمع المهاجرين اليمنيين وبها وكلاء للمغتربين الذي يتم عن طريقهم توصيل تحويلات المهاجرين إلى ذويهم في قرى اليمن، وسوق عدن هو الذي يحدد سعر الريال. وبعد استقلال اليمن الجنوبي، اتخذت السلطة السياسية الحاكمة، سياسة الباب

---

١) احمد يوسف احمد: مرجع سابق، ص٥٧.

٢) المرجع نفسه، ص٥٨. انظر أيضاً: محمد عبد السلام: مرجع سابق،ص١٢. وكذلك : العطار، مرجع سابق،ص ٢٣٨.

٣) محمد أنعم غالب: النظام السياسي والتخلف الاقتصادي في اليمن، القاهرة، دار الهنا، ١٩٦٢م،ص٤٤.

المغلق، والربط على البطون فعاد اليمنيون الشماليون إلى مناطقهم يبحثون عن مخرج لهجرة خارج الوطن.وما أن تم الصلح بين اليمن الشمالي والسعودية في مطلع السبعينيات، حتى فتح الباب للهجرة إليها، والى دول الخليج فأفرغت قرى من رجالها يبحثون عن الرزق.

واستفادت الدولة من شيئين اثنين، تهجير الكثير من البطالة في البلاد وتشغيلهم بالمهجر، والأمر الثاني تحويلا تهم. لكن ذلك كان على حساب الأرض الزراعية فاستوردت القرية الدجاج الفرنسي المثلج،والبن البرازيلي، والقمح الأمريكي، وفقدت القرية اكتفاءها الذاتي من إنتاجها. وأصبح الريف اليمني بدون فائض من الحبوب لتصديرها للمدينة."[1]

كما أصبح الاستهلاك يهدر كل القدرات لليد العاملة التي غلب عليها النزوع للهجرة من أجل سداد متطلبات الحياة الجديدة.مع ارتفاع المهور في الزواج ومظاهر الاحتفالات الاجتماعية.ولقد نتج عن غض الطرف عن الاستيراد إلى تصفية كل الفائض في ميزانية النقد الأجنبي الذي بلغ عام١٩٧٩م حوالي،"١٤٥٩، ٤"مليون دولار، وكانت مودعة في البنوك الخارجية، وبثبات سعر صرف الريال اليمني، انقلب الفائض إلى عجز وانهار سعر الريال أمام الدولار، وبدأت موجة الغلاء والتضخم، لأن الاحتياطي من العملات الأجنبية، انفق على الكماليات وحتى منتصف الخطة الخماسية الثانية، لم يكن عند الحكومة احتياطي نقدي للسحب منه، وبدأ الاعتماد على القروض الخارجية والمعونات. رافق ذلك تدهور سريع لميزان المدفوعات، فالعمالة اليمنية في الخارج بدأت تحولاتها عينية على شكل سلع معمرة وكماليات، فانخفضت التحويلات من"١٠٩٧، ٨" مليون دولار، في

---

١) الجمهورية العربية اليمنية: رئاسة الوزراء، الجهاز المركزي للتخطيط، الخطة الخماسية الثانية(١٩٨٢-١٩٨٦م) ،ص٨.

عام١٩٧٢م إلى، "٦،٥٥٨" مليون دولار، في عام ١٩٨٣م، أي بنقص قدره" ٣،٥١١" مليون دولار."[١]

المذاهب الدينية:-

يعتبر الدين أقوى أثراً في حياة المجتمع، ولما يحققه من توافق بين الفرد والمجتمع. وينقسم سكان اليمن إلى زيدية، وشافعية وأقلية إسماعيلية. ويرتبط المذهب الزيدي بالنظام القانوني المطبق للشريعة الإسلامية،"[٢]" والحكام قبل الثورة كانوا ملتزمين بالمذهب، والقضاة هم أصحاب الفتوى في تطبيق الفقه الزيدي.ومهما اختلفت الآراء بين فقهاء المذاهب الإسلامية، إلا أن صيرورة الاتجاه واحد وهو العمل بما جاء بالقرآن وأقوال الرسول(ص) ووحدة الفكر أساس ثابت بين جميع المذاهب والخلاف الذي كان بين المذاهب كان في الأصل سياسياً موشى بالدين،والا ما الذي جعل بعض الخلفاء العباسيين يتعصبون للفكر ألمعتزلي، ويسددون ضربات قاضية لمعارضيهم؟ إنها السياسة وكبرياؤها.

وإذا كان هناك خلاف بين السنة والشيعة فليس ذلك بسبب خلاف بالثوابت المنصوص عليها في العقيدة بقدر ماهو خلاف فرضته عزلة الحوار، واللقاء، واكتفى كل من الفريقين بصحة ما عنده. وانعكس هذا الجانب السلبي على اليمن. فعندما سيطرت الإمامة الهادوية الزيدية على أجزاء من مناطق اليمن، سيطرت معهم العزة والأنفة القبلية، واعتبروا آراءهم هي العامل المحوري في حركية الفكر الإسلامي. لذلك تغيب منطق الحوار وفرض السيف بديلاً عنه فبذرت فكرة العصبية بين الزيدية والشافعية، وذلك هو الذي دفع أحد الأئمة الهادوية الزيدية"الإمام محمد بن إسماعيل" للقول إن:" اليمن دار كفر استفتحنا ها بسيوفنا" وحين شكي أصحاب المذهب الشافعي من ظلم الحكام الزيود، من

---

١) محمد عبد السلام: مرجع سابق، ص١٥٩، نقلاً عن: "التقرير السنوي للبنك المركزي عام ١٩٨٣م" ، ص٥٢.

٢) محمد مصطفى الشعبيني: اليمن الدولة والمجتمع ، القاهرة، دار النهضة العربية،١٩٧٥م، ص١٤٢.

زيادة الضرائب عليهم، قال لهم:" لا يؤاخذ ني الله إلا فيما أبقيت لكم". ثم كتب إلى عامله يقول له: "إذا استطعت أن تلتص على أخذ نصف أموالهم فافعل، ولكن بصورة لا تنفر، فاليمن أرض خراجية".[1]

هذه السمة ليست من أساسيات الفكر الزيدي. فالإمام زيد بن علي، تتفق آراؤه مع أئمة المذاهب الأربعة في أن الإسلام يدعو إلى العدالة، والمساواة بين جميع المسلمين. قال الإمـ .ام زيد :"الناس بعضهم أكفاء لبعض، عربيهم، وقرشيهم، وهاشميهم، إذا أسلموا وآمنوا فدينهم واحد، لهم مالنا، وعليهم ما علينا، دماؤهم واحدة، وديانتهم واحدة، وفرائضهم واحدة، ليس لبعضهم على بعض في ذلك فضل".[2]

الطائفة الزيدية:-

يعتبر الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، مؤسس الفكر الزيدي، عام٨٠هـ، وبايعه أهل العراق. وبلغ عدد من بايعوه" أربعين ألفا" وعند ساحة القتال ضد هشام بن عبد الملك الأموي، خذله أنصاره ولم يبق معه سوى، مئتين وثمانية عشر رجلاً، ورفضوه عندما رفض ذكر أبي بكر، وعمر وعثمان رضي الله عنهم، بالسوء، فسمي هؤلاء بالرافضة واستشهد زيد في المعركة عن عمر يناهز اثنين وأربعين عاماً. كانت ظاهرة مقاومة بني أمية تحتاج إلى عنصر الإقناع بأنهم خرجوا عن جادة الحق، لذلك حمل الإمام زيد مشعل

---

١) عبد الرحمن البيضاني: مصر وثورة اليمن، القاهرة، دار المعارف، ط١، ١٩٩٣م،ص٤٩. انظر أيضاً : البيضاني: شوا فع اليمن شركاء أو توابع" مجموعة مقالات" ، القاهرة، دار العارف ١٩٩٢م،ص٢٩. وكذلك: محمد أحمد نعمان، الأطراف المعنية، في اليمن، عدن ، منشورات مؤسسة الصبان وشركاه، ١٩٦٥م،ص٣٧.

٢) البيضاني: مصر وثورة اليمن، مرجع سابق، ص١٧٧.. انظر أيضاً: الإمام محمد أبوزهرة، الإمام زيد، ص٩٢. ويعرف الشماحي: مرجع سابق، ص١٤٦.. بالإمام المتوكل على الله إسماعيل، بأنه الإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل إسماعيل المتوفى عام١٠٩٧م.

الكفاح المسلح ضد هشام بن عبد الملك بن مروان. وتمكن الزيدية من بعده من إقامة دولة في ارض الديلم في جنوب الخزر عام٢٥٠هـ."[١]

وفي عام٨٩٨م(٢٨٠)هـ، كونت الدولة الثانية في اليمن عندما استدعي إلى اليمن" يحيى بن الحسين الرسي والذي ساعد على نشر مذهبه في اليمن هي الظروف الجبلية الشمالية، وكذلك المنازعات القبلية، حيث كانت تشترك القبيلة مع الأئمة، ضد القبيلة الأخرى، من أجل الحصول على الغنائم والأسلاب."[٢]

والقاسم الرسي من نسل الحسن بن علي بينما الإمام زيد من نسل الحسين بن علي، لأن الفكر الزيدي يجوز الإمامة في كل أولاد فاطمة بشروط لابد منها" العلم، والزهد،والشجاعة، والسخاء. سواء كان جده الحسن أو الحسين، إضافة إلى القدرة على القتال."[٣] لأن الإمامة في الإطار الفكري الزيدي ليست بالوراثة وإنما بالبيعة، ويجيزون وجود أكثر من إمام في وقت واحد في قطرين مختلفين.

ويعتبر المذهب الزيدي من أقرب مذاهب الشيعة إلى أهل السنة، وهو فكر أكثر ميلاً إلى المعتزلة، فقد كان الإمام زيد تلميذاً لواصل بن عطاء مؤسس التيار ألمعتزلي."[٤]

وقد انقسمت الزيدية بعد الإمام زيد إلى فرق خالفت رأي الإمام زيد في مسألة خلافة أبي بكر، وعمر، وأبرز هذه الفرق هي:- الجارودية.. نسبة لصاحبها أبي الجارود بن أبي زياد.، والسليمانية: نسبة لصاحبها سليمان بن جرير. .والصالحية: نسبة للحسن بن صالح."[٥] وهذه الفرق تختلف وتتفق في بعض القضايا، ومركز المغالين في الفكر الزيدي، ذمار، وصعدة، وبعض الشيوخ في صنعاء. وفكرة التصوف في الزيدية غير موجودة، بعكس ماهو بين أهل السنة. ويشارك الفكر

---

١) مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية،ط٧، ١٩٧٩م، ص٢٠٩.

٢) محمد مصطفى الشعبيني: مرجع سابق، ص١٤٢.

٣) الشكعة: مرجع سابق، ص٢٠٩.

٤) الشكعة: مرجع سابق، ص٢١٠.

٥) نفس المرجع، ص٢١١.

الزيدي الفرق الشيعية الأخرى في جواز التقية، وزكاة الخمس، وتخالف الإمامية في زواج المتعة وتحرمه. "[1]

والاختلاف بين أهل السنة والزيدية، في الفروع فقط، فالزيدية في الأذان يقولون" حي على خير العمل" كبقية فرق الشيعة، ويكبرون خمس تكبيرات في صلاة الجنازة، وصلاة العيد عند الزيدية فرض عين،تصح جماعة وفرادى، وصلاة التراويح جماعة يعتبرونها بدعة، والوتر سنة وهو ثلاث ركعات متصلة، ويرفضون الصلاة خلف الفاجر أو الفاسق.

ويوجب الفكر الزيدي على المسلمين الاجتهاد فإن عجز المجتهد في الاجتهاد جاز له التقليد، وتقليد أهل البيت قبل الغير، ويقر الزيدية الخروج على الحاكم الظالم ولا تجب طاعته.ونتيجة للسيطرة الطويلة للأئمة الزيدية، فقد دأب بعضهم على حمل كراهية الشوافع للمذهب الزيدي لما أبدوه في حروبهم التوسعية في الداخل من عنف وإرهاب، ودأب بعض الحكام السابقين على خلق صراع التفرقة بين الزيدي والشافعي في المعاملة، وإيثار الوظائف للزيود داخل المناطق الشافعية، وإن كانت هذه الظاهرة قد استمرت حتى بعد الثورة مما ولد احتجاجاً على شكل أحزاب سرية، تندد بالظلم والطائفية، واعتبار أبناء هذه المناطق غير مؤهلين لحكم أنفسهم. وتتركز الزيدية في المرتفعات المتوسطة وشمال البلاد."[2]

الطائفة الشافعية:-

يقول الإمام الشافعي إنه" لما مات مالك كنت فقيراً فاتفق أن والي اليمن قدم المدينة المنورة، فكلمه بعض القرشيين في أن أصحبه، فذهبت معه، واستعملني في أعمال كثيرة وحمدت فيها والناس أثنوا علي."[3]

---

١) نفس المرجع، ص٢١٢.

٢) الشعبي: مرجع سابق، ص١٤٣.

٣) أحمد نحراوي عبد السلام: الإمام الشافعي في مذهبه القديم والجديد، القاهرة، مكتبة الشباب،ط١، ١٩٨٨م، ص٥٨. نقلاً عن وفيات الأعيان، لابن خلكان،ج٣، ،ص٣٠٨.

وفي اليمن تتلمذ على يد أبي مطرف بن مازن الصنعاني الذي ولي القضاء بصنعاء، وأبي عبد الرحمن بن هشام بن يوسف، وعمر بن أبي سلمة، صاحب الأوزاعي إمام أهل الشام، ويحيى بن حسان صاحب الليث بن سعد. بذلك اجتمع لدى الشافعي، الفقه المكي، والفقه المدني، والفقه اليمني."[1]

وقد تأثر الفقه اليمني بأفكار معاذ بن جبل، وعلي بن أبي طالب، ولم يتبلور المذهب الشافعي، عند مجيئه إلى اليمن، ولكن بتولي الشافعي قضاء نجران، كسب شعبية كبيرة لما توفر لديه من عدل، ورفع المظالم عن الناس. وبعد حين رحل الشافعي إلى العراق، ونشر مذهبه هناك، ثم توجه بعد ذلك إلى مصر، وعاش فيها ونشر أتباعه مذهبه، وتوفي في مصر في آخر يوم من رجب "الجمعة" عام٢٠٤هـ."[2]

ومن آراء الشافعي السياسية، أن الإمامة في قريش دون تحديدها، في الهاشمية أو الأموية وغيرهما من آل قريش، واعتبر الخليفة عمر بن عبد العزيز، الأموي، خامس الخلفاء الراشدين."[3] وفي الجانب الفقهي، أخذ الإمام الشافعي بمبدأ الإجماع، وهو مزيج من فقه أصحاب الرأي، وهم أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب مالك، ويأخذ الشافعي بالقياس، وقعد القواعد للرأي الذي يعتقده صحيحاً، والاستنباطات التي لاتكون صحيحة، فرسم حدود القياس ورتب مراتبه. وأبطل الشافعي مبدأ الاستحسان وهو المبدأ الذي أخذ به أبو حنيفة من قبل، وهو أن الاجتهاد بطريق الاستحسان من غير الاعتماد على أصل من الشرع أو نص من الكتاب والسنة يكون اجتهاداً باطلاً، ونتيجته تبعاً لذلك باطله."[4]

وتعتبر مدينة زبيد، المركز الفكري لشافعية اليمن، ويمثل الشافعيون نسبة كبيرة من سكان شطري اليمن، ويتكاثرون في السهول وسواحل تهامة

---

١) احمد نحراوي عبد السلام: المرجع السابق،ص ٤٤٢.

٢) المرجع نفسه، ص٨٦.

٣) مصطفى الشكعة: المرجع السابق، ص٢٢٣.

٤) نفس المرجع، ص٤٣٥.

والمرتفعات المتوسطة في محافظة تعز ومحافظة إب، والمرتفعات الشرقية" منطقة مأرب وبيحان"، وأغلبية المهاجرين من الشافعية، وكذلك سكان اليمن الجنوبي شافعيون."[1]

ولم يكن لأتباع الفكر الشافعي نزعة من الكراهية لمعارضيهم ولا عصبية، وفي غياب الاجتهاد بين شيوخ الفقهاء من الشوافع ضعف رأيهم، فهانوا وهانت آراؤهم لدى أئمة الزيود، وبالتالي فقد حكم الأئمة بفقههم الزيدي، ولم يراعوا آراء الفقهاء من الشوافع ومع ذلك فقد استسلم فقهاء الشافعية لسيادة الفقه الزيدي، ولم تظهر كتابات معارضة أو ناقدة، بل انطووا على أنفسهم، ومنهم من تمز يد بالفقه الزيدي من أجل الحصول على وظيفة، وآخرون بقوا على ماهم عليه.

الطائفة الإسماعيلية:-

سميت الإسماعيلية، نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، ولم تظهر كفرقة سياسية عقائدية إلا بعد وفاة إسماعيل بأكثر من مئة عام. وارتكزت عقيدتهم على مخالفة الإمامية، في الاعتراف بموسى الكاظم ابن جعفر الصادق، وأخ إسماعيل، إماماً سابعاً، وكان ظهورها في اليمن في عهد ابن حوشب الشهير باسم منصور اليمن، وعلي بن الفضل"٨٧٩- ٨٨٠م" "[2]" وتمثل هذه المرحلة الدولة الإسماعيلية الأولى.

وتأتي الدولة الإسماعيلية الثانية في عهد مؤسسها أبي الحسن الصليحي، والمنتمي إلى قبيلة الأصلوح، التي تعد قبيلة من قبائل الأحجور الحاشدية الهمدانية."[3]" والقرامطة إحدى الفرق المتفرعة من الإسماعيلية، وتنسب إلى حمدان قرمط، أحد مريدي عبد الله بن ميمون القداح."[4]"

---

١) محمد سعيد العطار: مرجع سابق،ص٩٨.

٢) محمود كامل المحامي: مرجع سابق، ص١٥٢.

٣) محمد يحي الحداد: مرجع سابق،ص١٩٥.

٤) مصطفى الشكعة: مرجع سابق،ص٢١٩.

والقرامطة والإسماعيلية هما نسيج مذهب واحد، إلا أن القرامطة انحرفوا عن التعاليم الإسماعيلية وخرجوا عن الغموض الباطني، واتخذوا اتجاهاً غوغائياً، من ثم حاربتها الدولة العباسية في مواقع كثيرة، واستطاع القرامطة دخول مكة في إحدى مواسم الحج، وقتلوا الحجاج ورموا بجثثهم في بئر زمزم وهدموا الكعبة وانتزعوا الحجر الأسود وحملوه إلى منطقة "هجر" من أعمال البحرين، وبقي الحجر الأسود لديهم ما يقارب خمسة وعشرين عاماً.

ومن هنا فالصورة مختلفة، لأن الإسماعيلية تحمل عقيدة، ولكنها في نظر أهل السنة عقيدة ممسوخة. وكان عبيد الله المهدي، والذي كان يقيم "بسلمية" في سوريا، مستترا ثم فر هارباً إلى شمال إفريقية، حين انكشف أمره. وقد أسس في شمال إفريقيا الدولة الفاطمية عام٢٩٧هـ.

وتنقسم الإسماعيلية إلى فرق عديدة منها إسماعيلية مصر "مستعلية" وكانت إسماعيلية فارس والشرق "نزارية" وكذلك كانت إسماعيلية الشام، وكانوا يسيرون على مدرسة الحسن الصباح. والبهرة، وهي إسماعيلية الهند واليمن وهم ينتسبون إلى الإسماعيلية المستعلية التي كان يتبعها اليمنيون في عهد الصليحيين، ويسمون الطيبية نسبة إلى الطيب بن الخليفة الآمر بالله بن الخليفة المستعلي بالله، وحين سقطت الدولة الصليحية ترك الإسماعيلية الطيبية ميادين السياسة واشتغلوا بالتجارة، بين اليمن والهند."[1] واختلط بهم جماعة من الهندوس واعتنقوا مذهبهم، فعرفوا "بالبهره" وهي كلمة هندية قديمة تعني التاجر. وينقسم البهرة إلى قسمين، البهرة الداودية، نسبة إلى قطب شاه داوود ومركزهم الهند، منذ القرن العاشر الهجري وداعيهم يقيم في بمباي. أما البهرة السليمانية، وينتسبون إلى سليمان بن حسن، ومركزهم اليمن."[2]

ومن عقيدة الإسماعيلي القول بأن الله فوق متناول العقل، وهم يقولون فالله، "ولا نقول موجود، ولا نقول غير موجود، ولا عالم، ولا جاهل،ولا قادر،ولا عاجز."

---

١) نفس المرجع، ص٢٢٧.

٢) المرجع نفسه، ص٢٢٨.

فهم ليس لديهم إثبات مطلق ولا نفي مطلق. فهو ليس بالقديم كما انه ليس بالمحدث."[1]

فالخالق عند الإسماعيلية هو العقل الكلي والنفس الكلية، من ثم لخصوا مقولاتهم في الله، أن العقل الكلي في العالم العلوي، يقابله الإمام في العالم الجسماني، وانتهوا من ذلك إلى أن جميع الأسماء والصفات التي خلعت على العقل الكلي هي صفات وأسماء خلعت على الإمام، فأسماء الله الحسنى هي أسماء للإمام. والإمام هو محور الدعوة الإسماعيلية،ويقولون إن الأرض لا تخلو أبداً من إمام. فإما ظاهر مكشوف وإما باطن مستور.ويقولون إن من مات ولم يعرف إمام زمانه، ومن مات ولم يكن له في عنقه بيعة إمام مات ميتة جاهلية."[2] إلى غير ذلك من الآراء التي يعتنقونها وتعتبر لديهم من ثوابت العقيدة، وهناك آراء لم يتناولها الباحثون، كون أمرها مازال مستوراً، ولم يسمح الإسماعيليون، بتداولها وتكون أساس العقيدة مما جعل أهل السنة، يعدونهم منحرفين عن العقيدة الإسلامية. ويقدر عدد أفراد هذه الطائفة بخمسين إلى ستين ألف نسمة، يعيش معظمهم في جبل حراز في اليمن."[3]

واستطاع ابن حوشب الكوفي، إقناع علي بن الفضل الجيشاني"يمني من بني جيشان" وكان شيعياً اثني عشرياً. وقد اقتنع بالدعوة الفاطمية إلى أن يعتنق الإسماعيلية."[4] واشتهر الإسماعيليون في اليمن باسم القرامطة، نسبة إلى دعاة المذهب، وعرفوا بمصر، والمغرب باسم "العبيد يون" وقد اتجه ابن حوشب إلى جبال لاعة، بالقرب من صنعاء.

---

١) الشكعة: مرجع سابق، ص٢٣٠.

٢) الشكعة: المرجع نفسه،ص٢٣٣.. انظر أيضا: الملل والنحل، ج١، ص ١٧١-١٧٢.

٣) الشعبيني: مرجع سابق، ص١٤٥، انظر أيضاً : العطار: مرجع سابق،ص٩٥.

٤) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: اليمن في ظل الإسلام، القاهرة، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٨٢م، ص١٢٧. ط .. وضيف." أن علي بن الفضل قد اتصل بالإمام الإسماعيلي المستور، الحسين بن أحمد، الذي كلفه بمهمة الدعوة إلى جانب ابن حوشب(وهذه الرواية عكس الرواية التي تقول أن عبيد الله المهدي هو الذي كلفهما بالمهمة).

واتجه علي ابن الفضل، إلى سرو يافع، وقد خرج علي ابن الفضل عن الدعوة الإسماعيلية، وجمع جموعه لمحاربة ابن حوشب رفيقه في العودة، وأبدى من الظلم والوحشية، مما يفسر ما قيل عنه أنه حلل ماهو محرم شرعاً، ويبدو انه خرج عن منهج الدعوة في سرية تفسير المعاني الباطنية، فافسد دعوته، إلى جانب أن ما كتب عنه قد يكون مبالغاً فيه من قبل أعدائه، وقد أحرقت كل المعلومات بعد قتله، والتي كان يمكن أن تمدنا بمؤشرات تفيد الواقع التاريخي، ويعلق محمد يحيى الحداد، بقوله، " إننا لم نعثر على مؤرخ معاصر لعلي بن الفضل يتحدث عما اتهم به، وإنما تناقلت تلك التهم" الكفر والإلحاد" كتب بعض المؤرخين المتأخرين عنه بآماد بعيدة والذين هم مع ذلك مجرد ناقلين من كتب تواريخ متأخرة ودون دراسة وتمحيص، كالجندي وأمثاله، مع العلم أن مرجع الجندي في هذا هو ابن مالك الحما دي الذي كان معروفاً بعدائه الشديد لدعاة الفاطميين.

وقد شهدت اليمن وحدة تضم معظم أجزاء اليمن شماله وجنوبه، في عهد الدولة الإسماعيلية الثانية، وكان ذلك في عهد السلطان علي الصليحي، الذي لم يفرض مذهبه على اليمنيين وساد في عهدهم الاستقرار السياسي والتسامح المذهبي.

وكانت العاصمة لدولة الوحدة في العهد الصليحي هي صنعاء، واختط عبد الله محمد الصليحي" مدينة ذي جبلة" بأمر علي محمد الصليحي، ولا ينسى اليمنيون "السيدة أروى بنت أحمد محمد الصليحي"، من حسن ودهاء تجاه المواطنين في مدينة جبلة، وكانت هي الحاكمة الفعلية في عهد المكرم الصليحي" زوجها" وقد بنت السدود، وعبدت الطرق وبنت قصراً شامخاً، مازال قائماً حتى الآن في مدينة جبلة، كما أنشأت العديد من المساجد. وكان خطيب الجمعة في عقر دار الخلافة في جبلة، يخطب بلسان السنيين الغيورين على حب الخلفاء الراشدين أجمعين.

ومع ذلك لم يسجل لنا التاريخ أي حضر أو خطاب موجه من السلطة ضد أولئك الخطباء وهذا دليل على التسامح على الرغم أن الصليحيين كانوا يخضعون من الناحية العقائدية للحاكم الفاطمي بمصر، " المستنصر بالله ." ..